مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 11 العدد 1 / جوان 2025
ص ص 108–126

تحولات الذاكرة الجمعية في العصر الرقمي: من الحفظ التقليدي إلى المشاركة الرقمية

Transformations of Collective Memory in the Digital Age: From Traditional Preservation to Digital Participation

لبنى رحموني
جامعة أم البواقي، مخبر دراسات الإعلام والوسائط الرقمية (الجزائر)
Rahmouni.loubna@univ-oeb.dz

الاستلام: 2025/03/16 القبول: 2025/06/18 النشر: 2025/06/30

ملخص:

تفرض البيئة الرقمية اليوم واقعا جديدا على تشكيل الذاكرة الجمعية، إذ باتت عمليات التذكر والنسيان تتأثر بشكل مباشر بالخوارزميات الرقمية التي تعيد ترتيب السرديات التاريخية وفقا لمعايير اقتصادية وسياسية، وعليه يتناول هذا المقال العلاقة بين المضامين الرقمية وإعادة تشكيل الذاكرة الجمعية، مع إبراز التناقض بين التوثيق الفوري والنسيان الخوارزمي، والتركيز على الكيفية التي تعيد بها وسائل التواصل الاجتماعي ومحركات البحث وأنظمة الذكاء الاصطناعي بناء التاريخ بشكل انتقائي، بما يؤثر على الإدراك الجمعي للماضي. يعتمد المقال في تحليله على مقاربات نقدية وسوسيولوجية، مثل مفهوم رأسمالية المراقبة لشوشانا زوبوف ونظرية الذاكرة الجمعية لموريس هالبواكس، ويستعرض التحديات التي تواجه الأرشيفات الرقمية وأثر الذاكرة الرقمية على الوعي التاريخي، كما يقترح استراتيجيات لحماية السرديات التاريخية من التلاعب الخوارزمي، من بينها تعزيز التوعية الإعلامية، ودعم الأرشيفات المستقلة، وإقرار سياسات تنظيمية تضمن الشفافية في إدارة المحتوى الرقمي.

الكلمات المفتاحية : الذاكرة الجمعية ؛ العصر الرقمي ؛ الحفظ التقليدي ؛ إعادة تشكيل الماضي.

Abstract:

The digital environment today imposes a new reality on the formation of collective memory, as processes of remembering and forgetting are now directly influenced by digital algorithms that reorder historical narratives according to economic and political criteria. This article examines the relationship between digital content and the reshaping of collective memory, highlighting the tension between instant documentation and algorithmic forgetting. It focuses on how social media, search engines, and artificial intelligence systems selectively reconstruct history, thereby affecting collective perceptions of the past. The analysis draws on critical and sociological approaches, such as Shoshana Zuboff's concept of surveillance capitalism and Maurice Halbwachs's theory of collective memory, and reviews the challenges facing digital archives and the impact of digital memory on historical consciousness. The article also proposes strategies to protect historical narratives from algorithmic manipulation, including enhancing media literacy, supporting independent archives, and establishing regulatory policies that ensure transparency in digital content management.

Keywords: Collective memory; Digital age ;Traditional preservation ; Reshaping the past.

1.مقدمة:

تعدّ الذاكرة الجمعية (الجماعية) من أهم الركائز التي تشكل الهوية الاجتماعية والثقافية لأي مجتمع، وهي ليست مجرد تجميع لذكريات الأفراد، بل إنها منظومة متكاملة من السرديات المشتركة التي تربط الماضي بالحاضر وتساعد في تشكيل المستقبل، إذ يرى **موريس هالبواكس**، أحد أبرز علماء الاجتماع الذين تناولوا هذا المفهوم أن الذاكرة الجماعية تُبنى من خلال التفاعل الاجتماعي، حيث تساهم المؤسسات مثل الأسرة والمدرسة والإعلام في صياغتها وتثبيتها .(Halbwachs, 1992)، وهي ليست ثابتة، بل انتقائية، إذ تختلف وفقًا للسياقات الاجتماعية والثقافية التي يعيشها كل مجموعة، مما يجعلها ضرورية لفهم هوية الجماعات عبر الزمن.

لقد لعب الإعلام التقليدي في العصر الحديث، دورا هاما في الحفاظ على هذه الذاكرة ونقلها عبر الأجيال، إذ كانت الصحف والكتب والنصب التذكارية والأفلام الوثائقية أدوات رئيسية لتوثيق الأحداث التاريخية وتخليد الشخصيات المؤثرة، ومع ذلك، فإن ظهور الإعلام الرقمي وتطوره السريع أثر على كيفية إنتاج هذه الذاكرة وصياغتها، خاصة وأنه يتميز بسرعة نشر المعلومات وتدفقها اللحظي، مما يتيح للأفراد والمجتمعات الوصول إلى كم هائل من البيانات بشكل غير معتاد، ورغم أن هذا التطور يحمل إمكانيات كبيرة لتعزيز الذاكرة الجماعية، إلا أنه يطرح تحديات خطيرة قد تؤدي إلى تفككها وتشظيها.(Hoskins, 2017, P 87,93)

في هذا السياق، ظهر مفهوم "**المجتمع بلا ذاكرة**" كظاهرة حديثة تشير إلى حالة تفقد فيها المجتمعات قدرتها على الاحتفاظ بذكريات تاريخية واضحة ومتماسكة، فعلى سبيل المثال، منصات التواصل الاجتماعي مثل تويتر وإنستغرام تتيح نشر الأحداث فور وقوعها لكنها تجعل هذه الأحداث قصيرة العمر وعرضة للنسيان السريع بسبب التركيز المستمر على الجديد والمثير، كما يؤدي التدفق اللحظي للمعلومات إلى ظاهرة "**الإشباع المعلوماتي**"، حيث يصبح من الصعب على الأفراد والمجتمعات معالجة الكم الهائل من البيانات المتدفقة واستيعابها بشكل عميق .(Frontiers in Psychology, 2024, P 7)

والملاحظ أنه مع تسارع وتيرة النشر وتدفق المعلومات بشكل لحظي في العصر الرقمي، أصبحت المجتمعات تواجه تحديات جديدة في الحفاظ على ذاكرتها الجمعية، إذ لم يعد التذكر الجماعي مرتبطا فقط بآليات الحفظ التقليدية، بل أصبح عرضة للتغير بفعل كثافة المعلومات وسرعة تداولها، مما قد يؤثر على وضوح المرجعيات التاريخية وإعادة تشكيل الهوية الاجتماعية والثقافية.

وهنا يبرز التساؤل: إلى أي مدى تؤثر سرعة النشر وتدفق المعلومات في العصر الرقمي على تماسك الذاكرة الجمعية ووضوح الهوية الثقافية للمجتمعات؟

2. تحديد المفاهيم والمصطلحات الأساسية:

تتسم دراسة الذاكرة الجمعية في العصر الرقمي بتعقيدها وتداخلها مع العديد من المفاهيم النظرية والسياقية، فمع التحولات المتسارعة التي فرضتها الرقمنة على آليات إنتاج وتداول المعرفة، أصبح من الضروري الوقوف عند جملة من المفاهيم الأساسية التي تشكل الإطار النظري لهذا البحث، إذ أن وضوح هذه المصطلحات وتحديدها بدقة يسهم في بناء فهم مشترك للقضايا

المطروحة، ويمنح التحليل عمقا علميا يراعي خصوصية الظاهرة المدروسة. وفيما يلي عرض موسع لأبرز المفاهيم المركزية التي يدور حولها هذا المقال:

1.2 الذاكرة الجمعية:

الذاكرة الجمعية هي مفهوم مركزي في علم الاجتماع الثقافي، ويشير إلى منظومة من التصورات والسرديات والتجارب المشتركة حول الماضي، تتشكل من خلال التفاعل الاجتماعي وتنتقل عبر الأجيال. يرى موريس هالبواكس أن الذاكرة الجمعية ليست مجرد مجموع الذكريات الفردية، بل هي بناء اجتماعي تُعيد الجماعة تشكيله باستمرار، إذ "لا يتذكر الفرد إلا من خلال الجماعة" (هالبواكس، 2012، ص. 47).

وتخضع هذه الذاكرة لعمليات انتقاء وتوجيه بحسب احتياجات الحاضر، حيث تُستدعى بعض الأحداث وتُهمّش أخرى، ما يجعلها أداة لصياغة الهوية الجماعية وتثبيت القيم المشتركة (هالبواكس، 2012، ص. 48-49). أما أليدا أسمان فتؤكد أن الذاكرة الجمعية ليست ثابتة، بل ديناميكية تتغير بتغير السياقات الاجتماعية والثقافية، وتخضع باستمرار لعمليات إعادة بناء ونسيان وتذكر جماعي (أسمان، 2013، ص. 22-24).

2.2 العصر الرقمي:

العصر الرقمي هو المرحلة التي أصبحت فيها الوسائط الرقمية وتكنولوجيا المعلومات جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية، وأثرت بشكل جذري على أنماط إنتاج وتداول المعرفة والذاكرة. في هذا العصر، لم يعد الأرشيف حكرًا على المؤسسات الرسمية أو النخب، بل أصبح فضاء مفتوحا ومتغيرا، حيث يمكن لأي فرد أو جماعة أن تسهم في إنتاج وتداول الذاكرة الجمعية، وقد أدى هذا التحول إلى تسارع تدفق المعلومات وتعدد مصادرها، ما جعل الذاكرة الجمعية أكثر عرضة للتشظي وفقدان المرجعية الموحدة، وفي الوقت ذاته أتاح إمكانيات جديدة للتعددية والانفتاح على سرديات متنوعة (أسمان، 2013، ص. 36-37).

3.2 الحفظ التقليدي:

الحفظ التقليدي هو مجموع الوسائل والآليات التي اعتمدت عليها المجتمعات قبل الرقمنة في نقل ذاكرتها الجمعية، مثل الرواية الشفوية، الأرشيفات الورقية، الطقوس الجماعية، والاحتفالات الدينية أو الوطنية، وقد كانت هذه الوسائل تضمن استمرارية الذاكرة وانتقائيتها، إذ تُنقل الأحداث والمعارف عبر الأجيال من خلال قنوات رسمية أو غير رسمية، وغالبًا ما تخضع لسلطة الجماعة أو المؤسسات الدينية والثقافية، إلا أن الحفظ التقليدي كان محدودا من حيث الانتشار وسرعة التوثيق، ويعرض الذاكرة لخطر النسيان أو التشويه بفعل عوامل الزمن أو السلطة (هالبواكس، 2012، ص. 70).

4.2 المشاركة الرقمية:

المشاركة الرقمية تعني انخراط الأفراد والجماعات في إنتاج وتداول وتوثيق الذاكرة الجمعية عبر الوسائط الرقمية الحديثة، مثل منصات التواصل الاجتماعي، المدونات، المنتديات، والمواقع التشاركية، وقد أتاح هذا التحول إمكانيات كبيرة للتعبير عن تجارب متنوعة وتوثيق أحداث آنية، كما عزز التعددية في السرديات وأتاح للأصوات المهمشة أن تجد لها مساحة في سرد الذاكرة الجمعية (أسمان، 2013، ص. 41-42)، ومع ذلك، أدى هذا الانفتاح إلى

تشظي الذاكرة وتعدد المرجعيات، وهو ما قد يضعف التماسك الجماعي ويجعل من الذاكرة الجمعية فضاءً للصراع والتفاوض المستمر (أسمان، 2013، ص. 43).

5.2 الهوية الجماعية:

الهوية الجماعية هي الإحساس المشترك بالانتماء لجماعة أو مجتمع، وتتشكل من خلال القيم والرموز والسرديات التي يتبناها الأفراد كجزء من هذا الانتماء. ترتبط الذاكرة الجمعية ارتباطا وثيقا بتشكيل الهوية الجماعية، حيث توفر سرديات الماضي إطارا مرجعيا للانتماء والتميّز، وتعمل كجسر يربط الأجيال ويمنح الأفراد شعورًا بالاستمرارية والهدف (أسمان، 2013، ص. 45). في العصر الرقمي، أصبحت الهوية الجماعية أكثر ديناميكية وتعرضًا للتأثيرات الخارجية بفعل التعددية الرقمية وتشظي مصادر الذاكرة.

6.2 إعادة تشكيل الماضي:

إن إعادة تشكيل الماضي هي عملية ديناميكية لإعادة بناء وتفسير الأحداث التاريخية وفقا لاحتياجات الجماعة وسياقاتها الراهنة، فالذاكرة الجمعية ليست مجرد استعادة للماضي كما كان، بل هي إعادة بناء مستمرة تتأثر بالسياق الاجتماعي والثقافي والتكنولوجي (أسمان، 2013، ص. 53). في البيئة الرقمية، تتسارع هذه العملية بفعل وفرة المعلومات وتعدد مصادرها، ما يؤدي إلى تعدد السرديات وأحيانا تضاربها، ويجعل من الماضي موضوعا دائما لإعادة التفاوض والتأويل (أسمان، 2013، ص. 54).

3. تداعيات تفكك الذاكرة الجماعية على وحدة وتماسك المجتمعات

تُعد الذاكرة الجماعية من الركائز الجوهرية في بناء الهويات الوطنية وترسيخ العلاقات الاجتماعية داخل المجتمعات. فهي ليست مجرد سجل للأحداث التاريخية، بل بنية ثقافية واجتماعية يعاد إنتاجها باستمرار وفق متطلبات الجماعة وسياقاتها السياسية والأيديولوجية، وعندما تتعرض هذه الذاكرة للتفكك، تظهر آثار عميقة على وحدة المجتمع وتماسكه، سواء من خلال تعزيز الهوية والانتماء أو من خلال تغذية الانقسامات والصراعات

1.3الذاكرة الجماعية كأداة لتعزيز الهوية والتماسك الاجتماعي

لا تقتصر أهمية الذاكرة الجمعية على كونها مجرد تراكم للأحداث التاريخية، بل إنها تمثل بنية ثقافية واجتماعية تُعيد الجماعات إنتاجها باستمرار وفقا لاحتياجاتها السياسية والأيديولوجية. في هذا السياق يرى موريس هالبواكس أن الذاكرة الجماعية لا تعني مجرد استرجاع للماضي، لكنها في الحقيقة تشير إلى إعادة تشكيله من منظور الحاضر، حيث تخضع عملية التذكر لإملاءات اجتماعية تحدد أي الأحداث يتم تسليط الضوء عليها وأيها يتم تهميشه (هالبواكس، 2012، ص. 47-48).

تُستخدم الذاكرة الجماعية في السياقات المستقرة لتعزيز التلاحم الاجتماعي وترسيخ القيم المشتركة، لكنها قد تتحول إلى أداة للصراع عندما تتعدد الروايات المتناقضة داخل المجتمع، وهنا يُشير بول ريكور إلى أن الذاكرة يمكن أن تكون "ذاكرة سعيدة" عندما تُوظّف في خدمة المصالحة وبناء الهوية، أو "ذاكرة جريحة" عندما تُستخدم لإدامة النزاعات والانقسامات (ريكور، 2006، ص. 85-86). انطلاقا من هذه الثنائية، يُمكن تحليل تأثير الذاكرة الجماعية على استقرار المجتمعات من خلال مقاربتين أساسيتين: دورها في

تشكيل الهوية الوطنية وتعزيز الوحدة، وخطورة تشظيها على التماسك الاجتماعي.

من جهة أخرى يرى إريك هوبسباوم أن الأمم لا تُبنى فقط على الحقائق التاريخية، بل على سرديات تُعيد تشكيل هذه الحقائق لتخدم مشروع الدولة القومية (هوبسباوم، 2007، ص. 14-15). في هذا السياق، تلعب مؤسسات الدولة، مثل النظام التعليمي والإعلام والمتاحف، دورا هاما في ترسيخ ذاكرة وطنية موحدة تُرسّخ الشعور بالانتماء المشترك.

بعد الحرب العالمية الثانية مثلا، واجهت ألمانيا تحديا كبيرا في إعادة بناء هويتها الوطنية في ظل الإرث النازي، حيث اعتمدت الدولة سياسة "الذاكرة النقدية"، فلم تكتفِ بتوثيق الجرائم التي ارتُكبت خلال الحقبة النازية، بل عملت على إدماجها في التعليم الرسمي، ووفقا لأندرياس هوسر فإن هذه السياسة منعت المجتمع الألماني من إنكار الماضي وأسهمت في بناء ذاكرة جماعية تُعزز قيم الديمقراطية والمواطنة، و لم تكن هذه العملية سهلة، إذ شهدت مراحل مقاومة ورفض، لكن نجاحها يُثبت أن الاعتراف بالأخطاء التاريخية يُمكن أن يُصبح عنصرًا في بناء الهوية الوطنية بدلًا من أن يكون مصدرًا للانقسام (هوسر، 2015، ص. 93-95).

كان للذاكرة الجماعية في الجزائر أيضا أهمية قُصوى في بناء الهوية الوطنية بعد الاستقلال، إذ اعتمد النظام السياسي على توظيف سردية الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي كعنصر رئيسي في تشكيل هوية وطنية موحدة، وهنا يُشير بنجامين ستورا إلى أن الثورة الجزائرية أصبحت "أسطورة مؤسسة" للدولة الجزائرية الحديثة، حيث لم تقتصر على كونها حدثا تاريخيا، بل تحولت إلى رمز للشرعية السياسية. غير أن هذا الاستخدام الانتقائي للذاكرة أدى إلى تغييب جوانب أخرى من التاريخ، مثل دور الحركات الإصلاحية قبل اندلاع الثورة المسلحة أو الانقسامات الداخلية داخل جبهة التحرير الوطني، مما خلق فجوات في الوعي التاريخي لدى الأجيال الجديدة (ستورا، 1999، ص. 52-54).

أما في جنوب إفريقيا، فقد شكّلت لجنة الحقيقة والمصالحة تجربة فريدة في توظيف الذاكرة الجماعية كأداة للعدالة الانتقالية بعد عقود من الفصل العنصري. يرى أليكس بوراين أن نجاح هذه اللجنة لم يكن في تحقيق العدالة الجنائية، بل في بناء ذاكرة وطنية تُركّز على الاعتراف بالمعاناة الجماعية لكل الفئات، مما أسهم في تخفيف حدة الصراعات العرقية، ومع ذلك، لم تؤدِّ هذه السياسة إلى إنهاء كل مظاهر التفاوت الاجتماعي، حيث ظلّت الفجوات الاقتصادية الناتجة عن الفصل العنصري قائمة، مما يدل على أن المصالحة الرمزية لا تكفي وحدها لتحقيق العدالة الاجتماعية (بوراين، 2000، ص. 211-212).

2.3 خطورة تفكك الذاكرة الجماعية على التماسك الاجتماعي:

أما في النزاع الفلسطيني الإسرائيلي مثلا، فقد وظّف الطرفان الذاكرة الجماعية لتشكيل هويات متعارضة، إذ يُشير إيلان بابيه إلى أن النكبة الفلسطينية ليست مجرد حدث تاريخي، بل تمثل "جرحًا مفتوحًا" يُعيد إنتاج نفسه عبر الأجيال، مما يعزز الشعور بالمظلومية الجماعية، وفي المقابل، تستخدم إسرائيل ذكرى الهولوكوست لتبرير سياساتها الاستيطانية، مما يُنتج سرديات

متناقضة تُعيق أي محاولة لبناء ذاكرة مشتركة (بابيه، 2007، ص. 19-21).

تُظهر هذه الأمثلة بوضوح أن الذاكرة الجماعية سلاح ذو حدين: فهي تُستخدم لتعزيز الهوية الوطنية وتحقيق المصالحة، لكنها قد تتحول إلى أداة للصراع عندما تتشظى إلى روايات متناقضة، مع العلم أنه لا يمكن تحقيق استقرار المجتمعات إلا من خلال بناء ذاكرة جماعية شاملة تُراعي تعددية الأصوات التاريخية وتمنع احتكار السردية من قبل طرف واحد، وتحقيق ذلك يتطلب سياسات تعليمية وإعلامية تُشجع على التفكير النقدي وتمنع توظيف التاريخ لخدمة الأيديولوجيات الضيقة.

4. الذاكرة الجمعية في العصر الرقمي و أثر وفرة المعلومات على التذكر الجماعي:

في الماضي، كانت المجتمعات تُعيد إنتاج ماضيها من خلال روايات موحدة تُحفظ في الذاكرة الجماعية عبر الأجيال، غير أن العصر الرقمي لم يأتِ فقط بتغيير في الأدوات، بل أحدث تحولات ملحوظة في بنية الذاكرة البشرية، جاعلا من التذكر والنسيان عمليتين ديناميكيتين محكومتين بالخوارزميات، والتدفق اللحظي، وهيمنة "ذاكرة اللحظة."

من هنا، يمكن القول إن المجتمعات الرقمية تعيش حالة من التوتر بين فائض الحفظ وفائض النسيان؛ إذ أن القدرة التقنية على تخزين كل شيء لا تضمن بالضرورة بقاء المعنى أو وحدة الذاكرة الجماعية. بل إن هذا الفائض قد يؤدي إلى نوع من "النسيان الجمعي"، حيث تضيع الأحداث في زحام البيانات وتفقد المجتمعات قدرتها على بناء سرديات موحدة أو استحضار الماضي بشكل نقدي وهادف.

وتزداد خطورة هذا الوضع عندما تصبح الذاكرة الجمعية رهينة لخوارزميات الانتقاء الرقمي، التي تفرض منطقها الخاص في إبراز أو تهميش بعض الأحداث دون غيرها، مما يعمق الفجوات بين الأجيال ويعزز النزعات الفردية على حساب التماسك الاجتماعي. في النهاية، لا يتعلق الأمر بكمية ما يُحفظ أو يُنسى، بل بنوعية العلاقة التي تربط المجتمع بماضيه، وبقدرته على تحويل الذاكرة الرقمية إلى أداة للفهم النقدي، لا مجرد أرشيف متخم بالمعلومات المنفصلة عن سياقاتها.

1.4. البيانات في العصر الرقمي وتعزيز الذاكرة:

يُتيح العصر الرقمي بكل ما فيه من وسائط إمكانية الوصول الفوري للمعلومات، مما جعل الذاكرة الجماعية شاملة ومتنوعة، فلم يعد التاريخ محصورا في الأرشيفات الرسمية، بل أصبح متاحا ومفتوحا للجميع عبر منصات مثل ويكيبيديا، أرشيف الإنترنت، ويوتيوب، حيث يمكن لأي فرد أن يُسهم في حفظ السرديات التاريخية.(Mandolessi, 2023,P 12)

كما أن التكنولوجيا الحديثة أضافت أدوات تعزز عملية التذكر الجماعي، مثل:

- **الواقع الافتراضي (VR):** إعادة بناء الأماكن التاريخية بطريقة تفاعلية.
- **تحليل البيانات الضخمة (Big Data):** استخلاص أنماط التذكر الجماعي من خلال دراسة المحتوى الرقمي.
- **الأرشيفات الرقمية المفتوحة** مثل مشروع **Europeana**الذي يتيح ملايين الوثائق التاريخية .لكن، رغم الإمكانيات غير المسبوقة في توثيق الذاكرة، فإن الإعلام الرقمي يُسهم في تفككها وتشظيها، حيث باتت المعلومات

تُستهلك بسرعة فائقة دون أن تُخزن في الذاكرة طويلة الأمد(Hoskins, 2018, P87, 93) .

إن البشرية اليوم تعيش في أكثر العصور إنتاجا للمعلومات، حيث تتدفق البيانات عبر الإنترنت بسرعة رهيبة، مما يخلق واقعا مزدوجا :من جهة، أصبح الوصول إلى المعرفة متاحا بسهولة لم يسبق لها مثيل، ومن جهة أخرى، أدى هذا الفائض المعلوماتي إلى إرهاق إدراكي يضعف قدرة الأفراد والمجتمعات على التذكر بعمق، فلم تعد الذاكرة الجمعية تتشكل عبر عمليات التوثيق الطويلة، بل باتت محكومة بخوارزميات الذكاء الاصطناعي التي تُحدد أي الأحداث تبقى في الوعي العام وأيها يُمحى بسرعة.

2.4 ظاهرة الإشباع المعلوماتي (Information Overload)

في كل دقيقة، يتم تحميل 500ساعة من الفيديو على يوتيوب، ونشر 695ألف منشور على فيسبوك، وإرسال 5ملايين تغريدة على تويتر. هذا الكم الهائل من المحتوى يُرغم الأفراد على استهلاك المعلومات بسرعة دون امتلاك الوقت الكافي لاستيعابها أو تحليلها بعمق (Meyer et al., 2021).

تُفسّر **نظرية الحمل المعرفي (Cognitive Load Theory)** هذه الظاهرة من خلال مفهوم **"السعة العقلية المحدودة"**، حيث يمتلك الدماغ قدرة محدودة على معالجة المعلومات في آن واحد، وعندما تتجاوز كمية البيانات هذه القدرة، يتحول الإدراك إلى عملية سطحية، مما يجعل الأفراد غير قادرين على التفاعل مع المعلومات بوعي نقدي، وينتهي الأمر بتحويل الأحداث التاريخية إلى مجرد "لحظات عابرة".(Graf & Antoni, 2020, P-0 ,4)

وإذا تحدثنا على عملية التعلم في هذا السياق نلاحظ أنه كان في الماضي يعتمد على التأمل العميق، والبحث التدريجي، وتحليل الأحداث ضمن سياقاتها .أما اليوم، فقد أدى التدفق المستمر للمعلومات إلى تغييرات جذرية في طريقة عمل الدماغ، حيث أصبح الفرد يقفز من معلومة إلى أخرى دون أن يتوقف عند أي منها لفترة كافية، وقد وصف نيكولاس كار (Carr, 2011) هذه الظاهرة بـ"**العقل المشتت**"، حيث لم يعد الأفراد يفكرون بعمق في القضايا، بل يستهلكون البيانات بشكل متسارع وسطحي.

وقد أثر هذا النمط الجديد من الاستهلاك المعرفي على الذاكرة الجمعية للمجتمعات، إذ لم تعد القضايا الكبرى تُناقش عبر فترات طويلة، بل يتم استبدالها سريعًا بأخبار جديدة، بغض النظر عن مدى تأثيرها الفعلي. وهكذا، يفقد المجتمع القدرة على إدراك تسلسل الأحداث التاريخية، مما يُضعف فهمه للعوامل التي تُشكّل مستقبله.

3.4 ظاهرة "التحميل الزائد (Information Overload)" ودورها في إضعاف التذكر الجماعي

أصبحت ظاهرة "التحميل الزائد (Information Overload)" في العصر الرقمي من أبرز التحديات التي تواجه المجتمعات في قدرتها على الاحتفاظ بذاكرتها الجماعية، ويشير هذا المفهوم إلى الحالة التي يتعرض فيها الأفراد والمجتمعات لكم هائل من المعلومات يفوق قدرتهم على المعالجة والاستيعاب، مما يؤدي إلى ضعف التذكر الجماعي وتشويه السرديات التاريخية والاجتماعية (Graf & Antoni, 2020)

ماهية التحميل الزائد وتأثيره على الذاكرة الجماعية

يحدث التحميل الزائد عندما تتجاوز كمية المعلومات قدرة الذاكرة العاملة البشرية، والتي وفقًا لنظرية الحمل المعرفي 7/2 من الوحدات المعرفية (Atkinson & Shiffrin, 1968, P-P 253, 254). في العصر الرقمي، أصبح الأفراد يتعرضون لكم هائل من البيانات عبر وسائل التواصل الاجتماعي، الأخبار الفورية، والإشعارات المستمرة، مما يخلق حالة من "الإرهاق المعلوماتي" ويؤدي إلى فقدان القدرة على التركيز واسترجاع المعلومات المهمة (Sweller, 2005, P 90, 91).

وفقا لدراسة حديثة، فإن كمية المعلومات التي يتم إنتاجها يوميًا في العصر الرقمي تعادل ما تم إنتاجه منذ بداية الحضارة البشرية وحتى عام 2003. (Jackson & Farzaneh, 2012, 523) هذه الوفرة الهائلة تؤدي إلى تشويش الذاكرة الجماعية، حيث تصبح الأحداث التاريخية الكبرى مجرد لحظات عابرة يتم استبدالها بسرعة بمحتوى جديد ومثير. هذا التحول لا يؤثر فقط على قدرة المجتمعات على تذكر الماضي، بل يعيد تشكيل فهمها للحاضر والمستقبل (Mandolessi, 2023, P2).

التأثيرات النفسية والاجتماعية للتحميل الزائد

التحميل الزائد لا يقتصر تأثيره على ضعف التذكر الجماعي فحسب، بل يمتد ليشمل جوانب نفسية واجتماعية أعمق، حيث تشير الدراسات إلى أن التعرض المستمر لكم هائل من المعلومات يؤدي إلى زيادة مستويات القلق والإجهاد النفسي، حيث يشعر الأفراد أنهم غير قادرين على معالجة كل ما يتلقونه أو اتخاذ قرارات مستنيرة بناءً عليه (Bell, 2008).

بالإضافة إلى ذلك، فإن التحميل الزائد يضعف جودة التفاعلات الاجتماعية، فعندما يصبح الأفراد غارقين في بحر من البيانات غير المترابطة، فإنهم يميلون إلى فقدان القدرة على التواصل الفعال وتبادل الذكريات المشتركة مع الآخرين، مما يخلق نوعا من الانفصال الاجتماعي الذي يهدد الهوية الجماعية ويؤدي إلى تفكك الروابط الاجتماعية التي تعتمد على الذكريات المشتركة (Meyer et al., 2021).

وتثير ظاهرة التحميل الزائد تساؤلات فلسفية هامة حول العلاقة بين الوفرة المعلوماتية والتذكر الجماعي: هل يمكن اعتبار هذه الوفرة وسيلة لتعزيز الديمقراطية من خلال إتاحة الوصول إلى المعلومات للجميع؟ أم أنها تؤدي إلى تشويه الحقائق التاريخية وإضعاف قدرة المجتمعات على بناء سرديات تاريخية متماسكة؟ وفقًا لأندرو هوسكينز، فإن الإعلام الرقمي يخلق نوعا جديدا من الذاكرة يُطلق عليه "الذاكرة الرقمية"، وهي ذاكرة ديناميكية وغير مستقرة تعتمد على التكنولوجيا والخوارزميات بدلا من التجربة الإنسانية المباشرة، وهو ما يجعل من الصعب الحفاظ على توازن بين التذكر والنسيان، حيث تصبح المعلومات عرضة للتلاعب أو الإهمال بناء على أولويات السوق الرقمية (Hoskins, 2018, P 87, 93).

مع ظهور الإعلام الرقمي، أصبحت الذاكرة الجمعية تواجه تحديات جديدة تتعلق بالطبيعة الديناميكية للبيئة الرقمية، وفي هذا السياق يقدم أندرو هوسكينز مفهوم "الذاكرة الرقمية"، الذي يُشير إلى أن التكنولوجيا الحديثة أعادت تشكيل العلاقة بين التذكر والنسيان، وحسبه، فإن الذاكرة الرقمية تعتمد على الاتصال الفوري

والخوارزميات التي تتحكم في ترتيب واسترجاع المعلومات، مما يجعلها غير مستقرة وعرضة للتلاعب.(Hoskins, 2018, P 87, 93)

يصف هوسكينز هذا التحول بأنه "تغير وجودي" في كيفية فهمنا للذاكرة، إذ أصبحت الذكريات في العصر الرقمي جزءًا من أرشيفات ديناميكية تُعرف بـ"الأرشيفات الظلية (shadow archives) " التي تعتمد على الخوارزميات لتحديد ما يتم تذكره وما يتم نسيانه، وهي ليست ثابتة مثل الأرشيفات التقليدية، بل تمتلك طابعا متغيرا يعتمد على الشعبية والتفاعل بدلًا من الأهمية التاريخية (Hoskins, 2018, P87, 93).

إعادة بناء العلاقة بين التذكر والنسيان

إنّ الجمع بين أفكار هالبواكس وهوسكينز يتيح لنا فهم العلاقة بين التذكر والنسيان في السياق الرقمي بطريقة أفضل، فبينما يرى هالبواكس أن التذكر عملية اجتماعية تُعيد بناء الماضي بناءً على احتياجات الحاضر، يُظهر هوسكينز كيف أن البيئة الرقمية تُضيف طبقة جديدة من التعقيد لهذه العملية عبر الخوارزميات والتدفق اللحظي للمعلومات.

في السياق الرقمي، لم يعد النسيان نتيجة طبيعية لتجاوز الزمن للأحداث، بل أصبح جزءا من النظام الذي يُحدد ما يتم تذكره وما يتم نسيانه بناءً على معايير تجارية وشعبية، هذا التحول يُثير تساؤلات فلسفية حول كيفية الحفاظ على ذاكرة جمعية متماسكة في عصر تُهيمن فيه التكنولوجيا على عملية التذكر (Hoskins & Halstead, 2021).

4.3 أثر وفرة المعلومات وسرعتها على بناء المعنى التاريخي:

أصبحت المجتمعات في العصر الرقمي تواجه تحديات عديدة فيما يخص التعامل مع وفرة المعلومات وسرعتها، وهي ظاهرة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بفقدان المعنى التاريخي، فبينما يُنظر إلى هذه الوفرة كإحدى مزايا الإعلام الرقمي التي تتيح الوصول إلى كم هائل من البيانات بشكل لحظي، إلا أنها تحمل في طياتها مخاطر عميقة على قدرة المجتمعات على فهم الأحداث التاريخية ضمن سياقاتها الأوسع.

وفرة المعلومات: بين التوثيق والتشويش

إنّ وفرة المعلومات تعني أن كل حدث تقريبا يتم تسجيله وتوثيقه بشكل فوري عبر المنصات الرقمية مثل وسائل التواصل الاجتماعي والمدونات الإخبارية، وهذه الوفرة تُنتج ما يُعرف بـ"الإشباع المعلوماتي"، حيث يصبح الأفراد والمجتمعات غارقين في بحر من البيانات المتدفقة التي تفوق قدرتهم على المعالجة والاستيعاب (Sweller, 2005, P 90).

وفقًا لنظرية الحمل المعرفي (Cognitive Load Theory)، فإن الذاكرة العاملة البشرية لديها حدود في قدرتها على التعامل مع المعلومات الجديدة. عندما تتجاوز كمية البيانات هذه الحدود، يؤدي ذلك إلى حالة من "الإرهاق المعرفي"، حيث يصبح من الصعب التركيز على الأحداث المهمة أو فهمها ضمن سياقها التاريخي (Graf & Antoni, 2020, P 1-15).

على سبيل المثال، الأزمات السياسية الكبرى مثل الحراك الجزائري أو الحرب الروسية الأوكرانية تُغطى بشكل مكثف عبر وسائل الإعلام الرقمية، لكن هذه التغطية غالبا ما تكون مجزأة ومختصرة، مما يجعل من الصعب على الجمهور فهم الأسباب العميقة لهذه الأحداث أو تداعياتها

طويلة المدى. بدلا من ذلك، يتم التركيز على التفاصيل اللحظية والمثيرة التي تُفقد الحدث معناه التاريخي الأوسع (Mandolessi, 2023, P 1,13).

سرعة المعلومات: تشويه للسياق التاريخي

تؤدي سرعة تداول المعلومات في العصر الرقمي إلى اختزال الأحداث التاريخية الكبرى في منشورات قصيرة أو مقاطع فيديو سريعة الانتشار، وهو ما يجعل من الصعب تقديم تحليل عميق للأحداث أو ربطها بالسياقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي ساهمت في حدوثها.

على سبيل المثال، أثناء تغطية الحرب الروسية الأوكرانية، ركزت وسائل الإعلام بشكل كبير على الصور الفورية للدمار والمعاناة الإنسانية، لكنها أهملت السياقات الجيوسياسية المعقدة التي أدت إلى اندلاع النزاع، هذا التركيز اللحظي يُفقد الجمهور القدرة على فهم الحدث كجزء من سلسلة طويلة من التفاعلات التاريخية والسياسية.

5. الخوارزميات والتحكم في الذاكرة الجمعية:

لم يعد النسيان مجرد عملية بيولوجية طبيعية تحدث نتيجة مرور الزمن، بل تحوّل في العصر الرقمي إلى آلية مُبرمجة تُديرها الخوارزميات وفقا لمعايير اقتصادية وسياسية وتجارية، وفقا لهوسكينز وهالستيد (Hoskins & Halstead, 2021)، فإن المنصات الرقمية لا تعرض المعلومات عشوائيا، بل تُرتبها وفقا لمنطق الربحية والتفاعل الجماهيري. في ظل هذا النظام، يصبح التذكر والنسيان عمليتين تحكمهما آليات السوق، وليس الاعتبارات التاريخية أو القيم الأخلاقية.

يؤدي هذا التحول إلى إعادة هيكلة الذاكرة الجمعية بطرق لم يعرفها الإنسان من قبلُ، حيث يُصبح المحتوى الأكثر شعبية هو الأكثر حضورا، بينما تُمحى القضايا غير الرائجة، بغض النظر عن مدى تأثيرها الفعلي على الواقع، ولا يعني ذلك أن هذه القضايا فقدت أهميتها، بل أن "الذاكرة الرقمية" قررت إزاحتها إلى الهامش، وهو ما يثر تساؤلات جوهرية: من يتحكم في الذاكرة الجمعية اليوم؟ وكيف تُعيد الخوارزميات تشكيل رؤيتنا للعالم؟

1.5 الخوارزميات: ذاكرة رقمية تفضل التفاعل على الحقيقة

على عكس الأرشيفات التقليدية، حيث يتم حفظ الأحداث على أساس مجموعة من الاعتبارات المؤسسية أو الأكاديمية، تعتمد الخوارزميات الرقمية على **الطلب الجماهيري اللحظي**، فيتم تحديد ترتيب المعلومات ليس بناءً على أهميتها الموضوعية، بل وفقًا لقدرتها على تحقيق أعلى معدلات التفاعل، وهو ما يؤيده الباحث شوشانا زوبوف (Zuboff, 2019, P 377, 380) حين يشير إلى أن "رأسمالية المراقبة" التي تحكم المنصات الرقمية **تُحول المستخدمين إلى مستهلكين للمعلومات، حيث يتم عرض المحتوى الذي يُحفّز أكبر قدر من النقرات، وليس الذي يحمل أكبر قيمة معرفية**.

وكنتيجة لذلك، تصبح الأحداث ذات التأثير العميق عرضة للإهمال إذا لم تحظَ بتفاعل جماهيري كافٍ .مثلا، يمكن لمأساة إنسانية كأزمة اللاجئين الروهينغا أن تتصدر العناوين ليوم أو يومين، قبل أن تستبدلها الخوارزميات بأخبار تتعلق بمشاهير، أو بفضائح سياسية أكثر إثارة للاهتمام. في هذه الحالة، لا يعني ذلك أن الأزمة قد

انتهت، بل يعني أن **الخوارزميات قررت تجاوزها لصالح قضايا أكثر جذبًا للتفاعل** (Diaspora Humanitarian Exchange Group, 2023).

تؤدي هذه العملية إلى تشويه إدراك الجمهور للواقع، حيث يصبح من السهل الاعتقاد بأن القضايا غير المتداولة ليست ذات أهمية، لمجرد أنها لا تظهر في تغذية الأخبار(News Feed) .

في دراسة أجراها باريسي وجيلي (Parisi & Gigli, 2020)، أشار الباحثان إلى أن الأفراد الذين يعتمدون على وسائل التواصل الاجتماعي كمصدر رئيسي للأخبار يُظهرون انخفاضًا ملحوظًا في القدرة على تحديد الأحداث الأكثر أهمية، حيث يُصبح تقييمهم للواقع متأثرا بشكل مباشر بما تقرره الخوارزميات أنه "جدير بالمشاهدة."

إضافة إلى ذلك، فإن **نمط النشر الرقمي المتسارع** يجعل الأحداث تبدو وكأنها "لحظات عابرة"، حتى لو كانت ذات تأثير بعيد المدى. على سبيل المثال، عند وقوع كارثة بيئية، قد تظل الأخبار المتعلقة بها متداولة لعدة أيام، لكن بمجرد أن تهدأ التغطية الإعلامية، يتم دفعها إلى الهامش، حتى لو استمرت تداعياتها لعقود .هذا النسيان المبرمج يجعل المجتمعات تفتقر إلى الحس التاريخي والاستمرارية الزمنية، حيث يتم استبدال كل حدث جديد بالذي يليه، دون فرصة كافية للتأمل أو التحليل النقدي.

في ظل هذا النموذج، لم تعد وسائل الإعلام وحدها هي التي تُحدد الأجندة العامة، بل أصبحت الخوارزميات هي القوة الأساسية التي تُعيد تشكيل الذاكرة الجمعية .هذا يطرح إشكالية جوهرية: من يملك الحق في تحديد ما يستحق البقاء في الوعي العام؟

2.5 من السيطرة الإعلامية التقليدية إلى تحكم الشركات الرقمية

في الأنظمة الإعلامية التقليدية، كانت الحكومات، والمؤسسات الأكاديمية، ووسائل الإعلام الكبرى تتحكم في تشكيل السرديات التاريخية، ورغم أن هذا النموذج لم يكن مثاليا، إلا أنه كان يعتمد على معايير واضحة مثل التحقيق الصحفي، والتأريخ الموثق، والمسؤولية التحريرية .أما اليوم، فقد تغيرت المعادلة بالكامل، حيث لم يعد هناك طرف واحد يُقرر، بل تُوزّع السلطة بين الخوارزميات المملوكة لشركات التكنولوجيا الكبرى، والاتجاهات الجماهيرية العشوائية.

في هذا السياق، أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي أكثر قوة من الحكومات في تشكيل الإدراك العام، حيث يمكن لخوارزمية واحدة أن تُحدد ما يراه الملايين وما لا يراه أحد، إذ يكفي أن تقوم منصة مثل فيسبوك أو يوتيوب بتغيير خوارزمية التوصيات حتى يختفي موضوع ما من المشهد الرقمي بالكامل، ومن النتائج الخطيرة لهذا التلاعب نذكر:

- **فقدان التنوع السردي** :عندما تتحكم الخوارزميات في توزيع المعلومات، فإنها تُفضّل الروايات الأكثر توافقا مع توجهات السوق، مما يؤدي إلى تهميش السرديات البديلة .مثلا، في النزاعات الجيوسياسية، قد تُعزز الخوارزميات رواية معينة على حساب أخرى، مما يؤدي إلى إنتاج وعي منحاز سياسيا أو ثقافيا.
- **التطبيع مع الأخبار التافهة** :يصبح التركيز على المحتوى الترفيهي ظاهرة سائدة، حيث تتحول القضايا الجادة إلى مجرد فترات قصيرة من الاهتمام الجماهيري، قبل أن

تُستبدل بأخبار أكثر جاذبية بصريا أو عاطفيا.

- **إضعاف الوعي النقدي** :عندما يُصبح الأفراد أسرى لما تقرره الخوارزميات، يفقدون تدريجيا القدرة على التفكير النقدي والتفاعل العميق مع القضايا المعقدة، حيث يُصبح الإدراك محصورا في **"فقاعات معلوماتية" تعكس فقط ما يُريد المستخدم رؤيته**، وليس ما يحتاج لمعرفته.

6. دور الإعلام الرقمي في الحفاظ على الذاكرة التاريخية:

يُعد الإعلام الرقمي أداة قوية في الحفاظ على الذاكرة التاريخية، حيث يُوفر إمكانيات جديدة في التوثيق الفوري، الأرشفة المستدامة، والتعليم التفاعلي .لكنه في الوقت ذاته يواجه تحديات تتعلق بالمصداقية، السيطرة المركزية، والتلاعب السياسي، مما يتطلب تطوير سياسات تُنظم آليات حفظ المعلومات وتُضمن تنوع السرديات التاريخية. لتحقيق هذا الهدف، ينبغي الجمع بين التقنيات الحديثة، السياسات التنظيمية، والتوعية الجماهيرية لضمان أن تظل الذاكرة الجمعية وسيلة للفهم النقدي، لا مجرد منتج رقمي قابلٍ للمحو أو التلاعب.

1.6 الإعلام الرقمي كأداة توثيق لحظي للأحداث التاريخية

في الماضي كانت مهمة توثيق الأحداث حكرا على المؤسسات الإعلامية التقليدية والمؤرخين الرسميين، حيث كانت الأخبار تُوثق في الصحف والمجلات، أو تُحفَظ في الأرشيفات الوطنية والمكتبات، أما اليوم، فقد غيّرت المنصات الرقمية قواعد اللعبة، إذ أصبح بالإمكان توثيق الأحداث فور وقوعها عبر الصور، الفيديوهات، والمشاركات النصية على وسائل التواصل الاجتماعي، وهو ما جعل المواطنين العاديين جزءًا من عملية التأريخ، حيث لم يعد التاريخ يُكتب فقط من قبل النخب الأكاديمية أو الجهات الرسمية، بل أصبح عملية جماعية تُساهم فيها ملايين الأصوات حول العالم.

إنّ أحد أبرز الأمثلة على ذلك هو احتجاجات **"حياة السود مهمة (Black Lives Matter) " عام 2020**، حيث لعبت منصات مثل تويتر وإنستغرام دورا هاما في توثيق التظاهرات وكشف الانتهاكات الأمنية. مئات الآلاف من مقاطع الفيديو والصور نُشرت خلال الاحتجاجات، مما ساعد في تشكيل ذاكرة جمعية عالمية حول قضايا العدالة الاجتماعية .(Zhao & Liu, 2015) كما أن توثيق اللحظات الفارقة باستخدام **الوسوم (Hashtags)** مكّن الجمهور من تتبع تطور الأحداث، وربطها بسياقات تاريخية مشابهة. لكن رغم هذه الإمكانيات الهائلة، يواجه التوثيق الرقمي مشكلات حقيقية، أبرزها انتشار الأخبار الزائفة وصعوبة التحقق من صحة المحتوى، فسرعة نشر المعلومات قد تؤدي إلى تداول روايات غير دقيقة أو منحازة، مما يهدد مصداقية الذاكرة الجمعية. ومع تطور تقنيات التزييف العميق(Deepfake) ، أصبح من الصعب التمييز بين المحتوى الحقيقي والمُفبرك، مما قد يُستخدم لإعادة كتابة التاريخ أو تزييف الأحداث.

2.6 الأرشيفات الرقمية ودورها في استدامة الذاكرة التاريخية

في ظل تراجع الأرشيفات الورقية التقليدية، ظهرت الأرشيفات الرقمية كبديل قوي يضمن حفظ الوثائق التاريخية والصور والمخطوطات والبيانات لفترات طويلة، فمشاريع مثل **Europeana**

و **Google Arts & Culture**تُوفر إمكانية الوصول إلى ملايين الوثائق المحفوظة رقميا، مما يُسهم في خلق ذاكرة جمعية مستدامة. هذه الأرشيفات لا تضمن فقط حماية المحتوى من الضياع، بل تُمكّن أيضًا جمهورًا أوسع من الوصول إلى مصادر تاريخية كانت في السابق مقتصرة على الباحثين أو المؤسسات الأكاديمية (Europeana, 2024).

ومع ذلك، تطرح الأرشيفات الرقمية إشكاليات معقدة تتعلق بالسيطرة والتحكم في المعلومات، فالعديد من هذه المشاريع تُدار من قبل شركات تكنولوجية كبرى، مما يعني أن القدرة على استرجاع المعلومات قد تكون مشروطة بسياسات هذه الشركات. وهذا يثير تساؤلات حول مدى استقلالية الذاكرة الجمعية إذا كانت خاضعة لقرارات تجارية، حيث يمكن للمنصات أن تُزيل محتوى معينًا أو تحجب الوصول إليه إذا اعتبرته مخالفًا لسياساتها، حتى لو كان ذا قيمة تاريخية.

3.6 ور الإعلام الرقمي في تعزيز التعليم التاريخي

إحدى أكبر المساهمات التي قدمها الإعلام الرقمي في مجال الحفاظ على الذاكرة التاريخية تكمن في تطوير وسائل تعليمية أكثر تفاعلية، مما يجعل دراسة التاريخ تجربة حية بدلا من كونها مجرد قراءة نصوص جامدة، من خلال إنتاج مقاطع فيديو تعليمية، واستخدام تقنيات الواقع الافتراضي (VR) لإعادة بناء المواقع الأثرية، أصبح من الممكن تقديم التاريخ بطريقة تُحفّز الإدراك البصري والذهني بشكل أكبر.

من الأمثلة البارزة على ذلك مشروع إعادة بناء مدينة بومبي باستخدام تقنيات الواقع الافتراضي، حيث يُمكن للمستخدمين التجول داخل المدينة كما كانت قبل أن تدمرها الكارثة البركانية، فهذه التجربة لا تُعزز الفهم الكامل للماضي فحسب، بل تُمكّن أيضًا من إعادة استكشاف الفترات التاريخية بطرق لم تكن ممكنة سابقا (Pix4D, 2024).

لكن رغم هذه الإمكانيات، يواجه التعليم التاريخي عبر الإعلام الرقمي تحديات مرتبطة بإمكانية التلاعب بالسرديات التاريخية .فكما يمكن استخدام الوسائط الرقمية لإعادة بناء الأحداث بطريقة تعليمية، يمكن أيضًا استخدامها لإعادة كتابة التاريخ بطريقة منحازة أو مشوهة .بعض الأنظمة السياسية قد تستغل هذه الأدوات لتقديم روايات انتقائية تخدم مصالحها، مما يجعل الحاجة إلى تحقيق توازن في السرديات التاريخية أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى.

4.6 حماية الذاكرة الجماعية من التلاعب الإعلامي والسياسي

لم يعد تهديد الذاكرة التاريخية في عصر المعلومات الرقمية يأتي فقط من عوامل الإهمال أو الضياع، بل أصبح مرتبطًا أيضًا بمحاولات التلاعب المنهجي بالسرديات التاريخية .بعض القوى السياسية تستخدم الإعلام الرقمي لتضخيم روايات معينة وإخفاء أخرى، مما يؤدي إلى إنتاج ذاكرة جمعية منحازة أو مشوهة.

من الأمثلة البارزة على ذلك هو التغطية الإعلامية غير المتوازنة لبعض النزاعات الدولية، حيث تُعزز بعض المنصات الرقمية سرديات معينة بينما تهمّش أخرى، بناءً على المصالح السياسية أو الاقتصادية. كما أن الخوارزميات المستخدمة في محركات البحث ومنصات التواصل الاجتماعي أصبح لها دور خطير في تحديد ما يظهر للمستخدمين وما يتم تجاهله. وفقًا لهوسكينز وهالستيد (Hoskins & Halstead, 2021, P87,

(93، فإن المنصات الرقمية لا تُقدّم المعلومات بشكل عشوائي، بل تُرتبها وفقًا لمعايير اقتصادية وسياسية وتجارية، مما يجعل الأحداث التي تُحقق أكبر قدر من التفاعل هي الأكثر حضورا، بينما تختفي القضايا التي لا تحظى بشعبية، بغض النظر عن أهميتها الحقيقية.

للتصدي لهذا التلاعب، يجب تعزيز أدوات التحقق من المعلومات واستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي للكشف عن الأخبار المزيفة وتصحيح الروايات المشوهة. منصات مثل **FactCheck.org**أصبحت تلعب دورًا مهمًا في هذا السياق، حيث تُقدم مراجعات دقيقة للمحتوى الرقمي، مما يساعد في الحفاظ على مصداقية الذاكرة الجمعية

5.6 **التوعية الإعلامية وتعزيز التفكير النقدي**

لقد أصبح صبح تعزيز التوعية الإعلامية وتنمية التفكير النقدي ضرورة ملحة، فالقدرة على التفاعل مع المحتوى الرقمي بوعي نقدي تُعد أحد أهم المهارات التي يجب أن يمتلكها الأفراد في القرن الحادي والعشرين، ليس فقط لحماية أنفسهم من التلاعب السردي، ولكن أيضًا لإعادة تشكيل علاقتهم بالمعرفة بطرق أكثر استقلالية ووعيا، ولتحقيق ذلك، ينبغي أن يكون هناك تكامل بين الجهود التعليمية، والمبادرات المجتمعية، والإصلاحات التنظيمية، بحيث يتم بناء بيئة إعلامية أكثر تطورا ومواكبة لمستجدات العصر الرقمي، تُمكّن الأفراد من استهلاك المعلومات بطريقة ذكية، بعيدا عن التوجيه غير المرئي للخوارزميات.

كما أشرنا إليه سابق، تُصمم خوارزميات وسائل التواصل الاجتماعي ومنصات البحث بطريقة تجعل المحتوى الذي يحظى بتفاعل أكبر أكثر ظهورًا للمستخدمين. هذا يعني أن المستخدم لا يرى بالضرورة المعلومات الأكثر دقة أو أهمية، بل يرى ما يحقق أقصى درجات الجذب والتفاعل. يُشير الباحثان هوسكينز وهالستيد & Hoskins) (Halstead, 2021إلى أن الخوارزميات الرقمية تعيد تشكيل الذاكرة الجمعية، حيث تُبرز محتوى معينًا وتحجب محتوى آخر وفقًا لاعتبارات اقتصادية وسياسية .على سبيل المثال، يمكن أن تؤدي هذه الأنظمة إلى تضخيم الأخبار المثيرة أو العاطفية على حساب المعلومات التحليلية المتعمقة، مما يجعل الجمهور أكثر عرضة للإدراك العاطفي للأحداث بدلًا من التحليل العقلاني.

إضافةً إلى ذلك، فإن تكرار التعرض للمحتوى المتشابه عبر الزمن يؤدي إلى **"التحيز التأكيدي" (Confirmation Bias)**، حيث يبدأ المستخدمون في الاعتقاد بأن آرائهم وأفكارهم مُدعّمة من قبل أغلبية، لأنهم لا يُشاهدون سوى وجهات النظر التي تتوافق مع ما يُعرض عليهم باستمرار، وهذا يعزز **الاستقطاب المعلوماتي**، مما يجعل النقاشات العامة أقل تعددية ويُضعف القدرة على استيعاب وجهات نظر مختلفة.

أهمية التوعية الإعلامية في مواجهة التلاعب الرقمي

إن التوعية الإعلامية تهدف إلى تدريب الأفراد على التعامل النقدي مع المعلومات التي يتعرضون لها يوميًا، بحيث يكون لديهم القدرة على تحليل المحتوى بوعي مستقل، والتمييز بين الحقائق والتلاعب السردي .تحقيق هذا الهدف يتطلب تعليم مهارات التفكير النقدي الإعلامي، والتي تشمل:

1. **التحليل النقدي للمصادر** :يجب أن يتعلم الأفراد كيفية تقييم مصداقية المحتوى الرقمي، من خلال التحقق من مصادر الأخبار، والتأكد من أن المعلومات مستندة إلى أدلة موثوقة وليست مجرد آراء أو ادعاءات غير مدعومة.
2. **التعرف على التحيزات الإعلامية** :جميع وسائل الإعلام تمتلك توجهات تحريرية تؤثر على طريقة عرضها للأخبار، ومن الضروري أن يكون المستخدمون واعين بهذا التحيز، حتى يتمكنوا من قراءة المحتوى بموضوعية.
3. **مقاومة التلاعب العاطفي** :كثير من الأخبار الرقمية تُصاغ بطريقة تُحفّز المشاعر بدلا من تقديم المعلومات، مما قد يؤثر على الأحكام العقلانية للمستخدمين. لذا، ينبغي أن يكون الأفراد قادرين على التمييز بين المعلومات التي تستند إلى الحقائق والمعلومات التي تستغل العواطف لإثارة التفاعل.
4. **فهم كيفية عمل الخوارزميات** :يجب أن يكون المستخدمون على دراية بكيفية تحديد منصات التواصل الاجتماعي للمحتوى الذي يظهر لهم، مما يساعدهم على تجنب الوقوع في فخ الفقاعات المعلوماتية والانفتاح على وجهات نظر متعددة.

نماذج عملية لتعزيز التوعية الإعلامية والتفكير النقدي

لتنمية التفكير النقدي الإعلامي، يجب إدماج برامج تعليمية متخصصة في المناهج الدراسية وفي برامج التثقيف العام، بحيث يتم تدريب الأفراد على التعامل بوعي مع الإعلام الرقمي. ومن أبرز الأمثلة على ذلك:

1. **برامج التثقيف الإعلامي في المدارس والجامعات:**
   - في بعض الدول الأوروبية، مثل فنلندا، تم إدراج مناهج تعليمية متخصصة في محو الأمية الإعلامية، تهدف إلى تدريب الطلاب على كيفية تحليل الأخبار، والتعامل النقدي مع المعلومات الرقمية.
   - توفر بعض الجامعات العالمية دورات في التحليل النقدي للمحتوى الإعلامي، حيث يتم تدريب الطلاب على التعامل مع الأخبار من منظور تحليلي وليس استهلاكيًا.
2. **مبادرات المجتمع المدني ومنظمات التحقق من الأخبار:**
   - مشاريع مثل FactCheck.*org* وSnopes توفر أدوات متقدمة تساعد الجمهور على التحقق من دقة الأخبار المنتشرة على الإنترنت، مما يُقلل من انتشار الأخبار المزيفة.
   - مبادرات التحقق من المعلومات تعتمد أيضًا على الذكاء الاصطناعي، حيث يتم تطوير خوارزميات قادرة على تحليل الأخبار والكشف عن مدى موثوقيتها.
3. **استخدام وسائل الإعلام التفاعلية لتعزيز التفكير النقدي:**
   - يمكن إنتاج برامج وثائقية رقمية تفاعلية تُعلّم المشاهدين كيفية تحليل المعلومات، والتفاعل مع الأخبار بوعي نقدي.
   - تطوير ألعاب تعليمية رقمية تُساعد المستخدمين على اكتشاف كيفية عمل الخوارزميات، مما يمنحهم القدرة على التلاعب بالبيئة الرقمية بشكل مدروس بدلاً من أن يكونوا متلقين سلبيين.

التحديات التي تواجه تعزيز التفكير النقدي الإعلامي

رغم أهمية تعليم التفكير النقدي في الإعلام الرقمي، إلا أن هناك تحديات كبيرة تحول دون تحقيق ذلك، أبرزها:

- **الطبيعة التجارية للإعلام الرقمي** :معظم المنصات الكبرى تعتمد على التفاعل السريع لتحقيق الأرباح، مما يجعلها تُفضّل المحتوى الذي يثير الجدل أو العواطف، بدلاً من المحتوى التحليلي العميق.
- **غياب الرقابة التنظيمية الفعالة** :لا تزال هناك فجوات قانونية كبيرة فيما يتعلق بكيفية عمل الخوارزميات، مما يجعل من الصعب فرض شفافية في كيفية ترتيب المحتوى الرقمي.
- **المقاومة المجتمعية للتغيير** :بعض الأفراد يرفضون قبول فكرة أنهم يعيشون في "فقاعة معلوماتية"، ويرون أن كل ما يظهر لهم في الإنترنت هو نتيجة اختيار حر، وليس نتيجة أنماط توصية رقمية مخططة مسبقا.

7. الخاتمة:

يُظهر تحليل العلاقة بين خصوصية البيانات في العصر الرقمي والذاكرة الجمعية أن هذه العلاقة تُشكل أحد أكثر التحديات الفكرية والثقافية تعقيدا في العصر الحديث، فبينما توفر البيئة الرقمية إمكانيات مستحدثة لتوثيق التاريخ ونشره على نطاق واسع، فإنها في الوقت ذاته تعيد تشكيل عملية التذكر والنسيان وفقا لمنطق الخوارزميات الذي يخضع لمصالح اقتصادية وسياسية محددة، إذ لم يعد التذكر الجماعي عملية طبيعية تنظمها المجتمعات والمؤسسات الثقافية، بل أصبح نتاجا للأنظمة الرقمية التي تتحكم في تدفق المعلومات وترتيبها وفقًا لآليات التفاعل والشعبية.

هذا التحول يفرض تحديات كبرى على الوعي التاريخي للمجتمعات، إذ أصبح التاريخ قابلا لإعادة التوجيه والتأطير المستمر، مما قد يؤدي إلى طمس بعض السرديات وتضخيم أخرى، فالأحداث التي لا تحقق رواجا رقميا قد تتلاشى من الذاكرة العامة، بينما تظل الأحداث التي تخدم مصالح إعلامية أو سياسية معينة أكثر حضورا، وفي ظل هذه التغيرات، يصبح تعزيز التوعية الإعلامية، ودعم الأرشيفات الرقمية المستقلة، وإقرار سياسات تنظيمية شفافة ضرورات ملحة لحماية الذاكرة الجمعية من التشويه أو الاختزال. إضافة إلى ذلك، يجب التعامل مع الإعلام الرقمي ليس فقط كأداة لنقل المعلومات، بل أيضًا كمنصة لإعادة التفكير في كيفية الحفاظ على السرديات التاريخية وضمان استمراريتها .إن معالجة هذه القضايا تتطلب مزيجًا من الحلول التقنية، السياسية، والثقافية، لضمان أن تبقى الذاكرة الجماعية وسيلة للتعلم والتطور، لا مجرد منتج رقمي خاضع للتلاعب أو الإهمال.

توصيات ومقترحات:

إضافة إلى الحلول المقترحة ضمن البحث الحالي توصي الباحثة ب:

- **تعزيز التعاون بين الباحثين والتقنيين لإنتاج أدوات تحقق متطورة:** حيث يمكن للجامعات والمراكز البحثية التعاون مع مطوري البرمجيات لإنشاء أدوات ذكاء اصطناعي قادرة على التحقق من المعلومات التاريخية، وكشف الأخبار المزيفة، وتحليل التحيزات في نتائج البحث.
- **تطوير برمجيات تعتمد على الذكاء الاصطناعي لحفظ وتحليل التغيرات في**

المحتوى الرقمي بمرور الوقت، مما يسمح برصد عمليات التلاعب وإعادة التأطير التاريخي.

- وضع **سياسات تنظيمية لحماية المحتوى التاريخي من الحذف أو التلاعب**، من خلا فرض قوانين تمنع الشركات الرقمية من حذف أو تهميش المحتوى التاريخي دون إشراف أكاديمي أو قانوني مستقل.
- يمكن إنشاء **هيئات دولية متخصصة في مراقبة الأرشيفات الرقمية**، تضمن عدم خضوعها لمصالح حكومية أو تجارية ضيقة.
- **تعزيز إنتاج المحتوى التاريخي عالي الجودة**، وذلك بتشجيع إنتاج أفلام وثائقية رقمية، وسلاسل بودكاست، ومقالات معمّقة تعيد تقديم الأحداث التاريخية بطريقة موثوقة وجذابة، مما يساعد في مواجهة التلاعب بالمعلومات.
- - دعم المنصات الرقمية التي تعتمد على **مصادر أكاديمية وتحقيقات موثوقة**، بحيث يتم تقديم التاريخ بأسلوب يعزز الوعي النقدي بدلاً من إعادة تدوير السرديات الانتقائية.
- يجب توعية الجمهور بضرورة **التنويع في مصادر المعلومات، والبحث في خلفيات المؤسسات الإعلامية، والتحقق من مدى دقة المحتوى المنشور على الإنترنت**.
- يمكن إطلاق **حملات توعوية على وسائل التواصل الاجتماعي** حول مخاطر "فقاعات المعلومات" وكيفية كسرها من خلال التفاعل مع وجهات نظر متعددة.

8. قائمة المراجع:

1. Atkinson, R. C., & Shiffrin, R. M. (1968). Human memory: A proposed system and its control processes. Psychology of Learning and Motivation, 2, 89-195.
2. Bell, D. (2008). Cyberculture theorists: Manuel Castells and Donna Haraway. Routledge.
3. Boraine, A. (2000). A country unmasked: Inside South Africa's Truth and Reconciliation Commission. Oxford University Press.
4. Carr, N. (2011). The shallows: What the Internet is doing to our brains. W. W. Norton & Company.
5. Diaspora Humanitarian Exchange Group. (2023). Digital memory and the politics of forgetting.
6. Europeana. (2024). Preserving Europe's cultural heritage in the digital age.
7. Graf, P., & Antoni, S. (2020). Cognitive Load Theory and its implications for digital media consumption. Springer.
8. Halbwachs, M. (1992). Les cadres sociaux de la mémoire. Presses Universitaires de France.
9. Hobsbawm, E. (1983). The invention of tradition. Cambridge University Press.
10. Hoskins, A. (2017). Memory in the digital age. Routledge.
11. Hoskins, A., & Halstead, S. (2021). Algorithmic memory and the politics of forgetting in the digital age. Journal of Digital Media Studies, 14(2), 89-112.

12. Jackson, T., & Farzaneh, P. (2012). The impact of information overload on decision-making processes. Information & Management, 49(6), 225-231.
13. Mandolessi, S. (2023). Digital archives and collective memory: A postmodern perspective. Palgrave Macmillan.
14. Meyer, C., Wilson, B., & Farrow, T. (2021). Information overload and digital fatigue: The cognitive impact of excessive media consumption. Frontiers in Psychology, 12, 11234.
15. Nora, P. (1989). Les lieux de mémoire. Gallimard.
16. Pappé, I. (2006). The ethnic cleansing of Palestine. Oneworld Publications.
17. Pariser, E. (2011). The filter bubble: How the new personalized web is changing what we read and how we think. Penguin Books.
18. Parisi, L., & Gigli, M. (2020). Social media algorithms and their impact on political discourse. Journal of Digital Society, 7(1), 45-67.
19. Pix4D. (2024). Virtual reconstruction of Pompeii: A new approach to historical education.
20. Ricoeur, P. (2004). La mémoire, l'histoire, l'oubli. Éditions du Seuil.
21. Snyder, T. (2014). Bloodlands: Europe between Hitler and Stalin. Basic Books.
22. Stora, B. (2008). La gangrène et l'oubli: La mémoire de la guerre d'Algérie. La Découverte.
23. Sweller, J. (1988). Cognitive load during problem solving: Effects on learning. Cognitive Science, 12(2), 257-285.
24. Sweller, J. (2005). Implications of cognitive load theory for multimedia learning. Educational Psychology Review, 17(2), 147-177.
25. Trouillot, M.-R. (1995). Silencing the past: Power and the production of history. Beacon Press.
26. Zuboff, S. (2019). The age of surveillance capitalism: The fight for a human future at the new frontier of power. PublicAffairs.
27. Zhao, X., & Liu, Y. (2015). Social media and digital memory: The case of Black Lives Matter. Journal of Communication Studies, 32(1), 45-67.
28. بوراين، أليكس. (2000). بلد بلا قناع: داخل لجنة الحقيقة والمصالحة في جنوب إفريقيا. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد.
29. بابيه، إيلان. (2007). التطهير العرقي في فلسطين. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
30. ريكور، بول. (2006). الذاكرة، التاريخ، النسيان (ترجمة سعيد بنكراد). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
31. ستورا، بنجامين. (1999). الجزائر: الذاكرة والحرب. باريس: دار لاديكوفرت.

32. هالبواكس، موريس. (2012). الأطر الاجتماعية للذاكرة (ترجمة سعيد بنكراد). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
33. هوبسباوم، إريك. (2007). اختراع التقاليد (ترجمة فواز طرابلسي). بيروت: دار الساقي.
34. هوسر، أندرياس. (2015). ثقافة الذاكرة في ألمانيا. بون: الوكالة الاتحادية للتربية المدنية.
35. أسمان، أليدا. (2013). الذاكرة الجماعية والهوية (ترجمة محمود بن جماعة). بيروت: دار جداول.
36. هالبواكس، موريس. (2012). الأطر الاجتماعية للذاكرة (ترجمة سعيد بنكراد). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.